وكان بالمعرة قصرٌ عظيمٌ لبعض الملوك في محلة شيات، فأمر صاحب المعرة بنقضه ليأخذ حجارته يبني بها مكاناً آخر، فاجتاز المعرِّي بالقلعة وهم يخربونه، فوقف مفكراً، وأنشده بديهاً: [من الطويل]

مررتُ بقصرٍ في شياتٍ فساءني ... بهِ زجلُ الأحجار تحت المعاولِ
تناولَها عبلُ الذِّراع كأنَّما ... جرى الحربُ فيما بينهم حربُ وائلِ
فقلتُ لهُ شَلَّتْ يمينُكَ خَلِّها ... لمُعْتَبِرٍ أو زائرٍ أو مُسائلِ
منازل قومٍ[1] حدَّثتنا ديارُهُم ... ولم ألقَ أحلى من حديثِ المنازلِ

السنة الثانية والثمانون وأربع مئة

فيها بعث السلطان صواب الخادم يطلب ابنتَه من الخليفة، فإنَّ شكاويها قد كثُرت منه، وأنَّه معرضٌ عنها، فأذِنَ لها في الخروج، فقالت: أُريد ولدي أبا الفضل جعفر. فامتنع الخليفة من خروج الولد معها، فشدَّدت عليه، فأذن لها على كُره، فخرجت من بغداد يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول، وأصحبها الخليفةُ النقيبين الكامل والطاهر وجماعةً من الخدم، وخرج الوزير أبو شجاع مُشيِّعاً للأمير أبي الفضل بين يدي مِحَفَّته إلى النَّهروان، وكان السلطان قد قطع النهر إلى سمرقند[2].

وفي صفر كانت فتنة عظيمة ببغداد بين السنة والشيعة، وسببها أنَّ أناساً من أهل البصرة كبسوا الكَرْخ [فقتلوا رجلاً وجرحوا آخر، فأغلقت أسواق الكَرْخ][3] ورفع أهلُها المصاحف، وقُتِلَ بينهم خلقٌ كثير، وجاء خمارتاش [نائب][4] الشحنة، فنزل قريباً من دجلة ليكفَّ الفريقين فما قدر، وكان أهل باب البصرة يزحفون وبين أيديهم سَبُعٌ أحمر قد زيَّنوه يقاتل وهم خلفه، وبعث الخليفة إليهم الخدم والخواصَّ والهاشميين والقضاة والأعيان والمشايخ، فلم يلتفتوا، ورفع العامَّةُ الصلبان على

(١) بعدها في (خ) كلمة مقحمة: قد.
(٢) الخبر في المنتظم ١٦/ ٢٨١.
(٣) مابين حاصرتين من (ب) والمنتظم ١٦/ ٢٨١-٢٨٢ والخبر فيه، لكن وقع في (ب): فقلت، بدل: فأُغلقت.
(٤) مابين حاصرتين من المنتظم ١٦/ ٢٨٢.

القصب، ونادوا: المستنصر يا منصور، ونادت الطائفة الأخرى: المسيحَ يا منصور، وتفاقم أمر الفتنة، وقُتِلَ من الفريقين نحوٌ من مئتين، وسبَّ أهلُ الكَرْخ أصحابَ رسول الله ﷺ، [وأزواجَه رضوان الله عليهم، وتعدَّوا إلى سبِّ رسول الله ﷺ][1] وكتب الخليفة إلى صدقة بن مَزْيَد بإنفاذ جيش، فبعث إليه بالعرب، واتفقوا مع الشِّحنة، فنقضوا الدُّور، وأحرقوا المحالَّ، وحلقوا الشعور، [وأحرقوا] ونهبوا أماكن المفسدين من الفريقين، فسكنت الفتنة.

وفي شوال ورد الخبر بموت خاتون بنت السلطان بأصبهان بالجُدَري، فجلس الوزير في العزاء بباب الفردوس ثلاثة أيام ـ وقيل: سبعة أيام[2] ـ وأخرج الخليفة أبا محمد التميمي وعفيف الخادم لتعزية السلطان.

ووردت الأخبار أن السلطان ملك شاه فتح سمرقند وأسر ملِكَها ابن طنغاج، وكان زوج أخت السلطان، وله منها ثلاثة أولاد، فجعل الولايةَ لأحدهم واسمه أحمد، وأمر بالخطبة له على المنابر. وقيل: إن هذا أحمد مات سنة أربع وثمانين.

وفيها ولَّى السلطانُ عميدَ الدولة ابنَ جَهير ديار بكر بسعي نظام الملك، فمضى إليها ومعه زوجتُه زبيدة بنت نظام الملك، وكان مقصودُه بالولاية أَخْذَ مال أبيه فخرِ الدولة من الودائع العظيمة، فأخذها وأقام إلى سنة أربع وثمانين، فاستدعاه السلطان إليه، ومات أبوه سنة ثلاث وثمانين، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها عمرت المنارة بجامع حلب.

وفيها جهز بدر الجمالي عسكراً من نصير[3] الدولة الجيوشي، فنزل على صور وبها القاضي عين الدولة ابن أبي عقيل، فسلَّمها إليه لمَّا لم يكن له به طاقة، وفتح صيدا وجُبيل وعكا، وكان لتُتُش بهذه البلاد أموال، فأخذها ونزل على بعلبك، وجاءه ابن ملاعب وخطب للمستنصر، وبعث تُتُش إلى آق سنقر بحلب وإلى بُزان بالرُّها وقال

(١) مابين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي من (ب).

(٢) الخبر إلى هنا في المنتظم ١٦/ ٢٨١ .

(٣) في (خ): نصر، والمثبت من (ب)، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٨ .

لهما: هذه البلاد التي أُخِذَتْ كان لي فيها ذخائر وأموال وقد أُخِذَتْ، وطلب منهما النجدة، فبعثا له عسكراً.

وفيها تُوفِّي

طاهر بن بركات بن إبراهيم[1]

أبو الفضل، القرشي، الخشوعي، من أكابر شيوخ دمشق.

قال ابن عساكر: سألتُ ولده إبراهيم بن طاهر: لِمَ سُمِّيتم الخشوعيين؟ فقال: لأن جدَّنا الأعلى كان يؤمُّ الناس، فمات في المحراب.

وكانت وفاة طاهر بدمشق، وكان صدوقاً ثقة.

عاصم بن الحسن[2]

ابن محمد بن علي بن عاصم، أبو الحسين، ولد سنة سبع وتسعين وثلاث مئة، وتوفي في جمادى الآخرة، ودفن عند جامع المنصور، وكان ظريفاً شاعراً، فصيحاً أديباً، ثقة متقناً حافظاً، ومن شعره: [من الكامل]

لهفي على قومٍ بكاظمةٍ ... ودَّعْتُهم والركبُ مُعترِضُ
لم تترُكِ العَبَراتُ مُذْ بَعُدوا ... لي مُقلةً ترنو وتغتمِضُ
رحلوا فطَرْفي دمعُهُ هَطِلٌ ... جارٍ وقلبي حشوُهُ مَرَضُ
وتعوَّضوا لا ذُقْتُ فَقْدَهمُ ... عنِّي ومالي عنهمُ عِوَضُ
أقرضتُهم قلبي على ثقةٍ ... بهم فما ردُّوا الذي اقترضوا
فَرَضوا على الأجفانِ أنهمُ ... لا تلتقي فَرَضُوا بما فَرَضُوا
أم أبرموا أمراً فإنَّهمُ ... بصدودِهم للعهدِ قد نَقَضُوا

وقال: [من الرجز]

أتعجبون من بياض لمَّتي ... وهجرُكُمْ قد شيَّبَ المفارقا

(١) تاريخ دمشق ٢٤/ ٤٤٩-٤٥٠ والمثبت منه ومن النجوم الزاهرة ٥/ ١٢٨، فقد تحرف اسم بركات في (خ) و(ب) إلى: ركاب.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٨٦-٢٨٧.

لـمَّـا رأيـتُ دارَكُـمْ خـالـيـةً ... مـن بـعـدمـا ثـوَّرتُـمُ الأيـانـقـا[1]
بـكـيـتُ فـي ربـوعِـهـا صـبـابـةً ... فـأنـبـتَـتْ مـدامـعـي شـقـائـقـا

وقال: [من الكامل]

مـاذا عـلـى مـتـلـوِّنِ الأخـلاقِ ... لـو زارنـي فـأبُـثَّـهُ أشـواقـي
وأبـوحَ بـالـشـكـوى إلـيـه تـذلُّـلاً ... وأفـضَّ خـتـم الـدَّمـع مـن آمـاقـي
فـعـساهُ يـسـمـحُ بـالـوصـالِ لـمـدنـفٍ ... ذي لـوعـةٍ وصـبـابـةٍ مـشـتـاقِ
أسـرَ الـفـؤادَ ولـم يـرِقَّ لـمـوثـقٍ ... مـا ضـرَّه لـو جـادَ بـالإطـلاقِ
يـا قـاتـلـي ظـلـمـاً بـسـيـف صـدودِهِ ... حـاشـاكَ تـقـتـلـنـي بـلا اسـتـحـقـاقِ
أسـقـيـتَـنـي دمـعـي ومـا يَـروى بـهِ ... ظَـمَـأي ولـكـن لا عَـدِمـتُ الـسـاقـي

وقال: [من الطويل]

وحرَّم غـمـضـي بـالـحـجـيـجِ عـلـى مـنـى ... غـزالٌ رأيـنـاهُ بـمـكـة مُـحـرِمـا
رمـى وَهـو يـسـعـى بـالـجِـمـارِ وإنَّـمـا ... رمـى جـمـرةَ الـقـلـب الـمُـعـذَّب إذ رمـى
ولـمَّـا تـفـرَّقْـنـا بـمُـنـعـرجِ الـلِّـوى ... وأنـجـدْتُ لا أرجـو الـلِّـقـاءَ وأتْـهـمـا
بـكـيـتُ عـلـى وادي الأراكِ ومـاؤُهُ ... مَـعـيـنٌ فـصـار الـمـاءُ مِـنْ عَـبْـرتـي دمـا

وقال: مرضتُ فغسلتُ ديوان شعري، وكان ذلك من المرض أيضاً.

علي بن [أبي] يعلى[2]

ابن زيد، أبو القاسم، الدَّبُوسي[3]، من أهل دَبُوسة بلدة بين بخارى وسمرقند، أقدمه نظام الملك إلى بغداد لتدريس النظامية بعد المتولي، كان فاضلاً عارفاً بالفقه والجدل والمناظرة، وكانت وفاته في شعبان [ببغداد][4].

---

(١) الأيانق؛ جمع ناقة. الصحاح (نوق).

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٨٥-٢٨٦ .

(٣) تحرفت في الأصلين (خ) و(ب) إلى: اليبوسي، وكذلك الكلمة الآتية: دبوسة، إلى: يبوسة، والتصويب من المصادر السابقة.

(٤) مابين حاصرتين من (ب) والمصادر.

السنة الثالثة والثمانون وأربع مئة

فيها تولى تُتُش على حمص وفيها ابن ملاعب، ومع تُتُش آق سنقر وبُزان، وقاتلوه مدةً، وقالوا: أنت نزلت إلى المصريين وخطبتَ لهم، فلمَّا ضايقوه طلب الأمان على نفسه وماله وأهله، فأعطوه، فنزل من القلعة، وتوجَّه إلى مصر، وتسلم تُتُش حمص، ثم أقام بمصر مدة وعاد إلى الشام، فدبَّر الحيلة على حصن فامية وملكه، وقدم أبو عبد الله الطبري بغداد في المُحرَّم ومعه منشور نظام الملك بالتدريس في النظامية، فدرس، ثم وصل عبد الرحمن الشيرازي ومعه منشور آخر، فتقرَّر أن يكون يذكر الدرس هذا يوماً، وهذا يوماً.

وفي ربيع الآخر خلع الخليفة على علي بن طِراد وولَّاه نقابة العباسيين بعد أبيه.

وفيها ظهر بالبصرة رجل مُنجِّم فادَّعى أنه المهدي، وكان من القرامطة، فاحتال حتى أحرق البصرة وهرب، فأتت النار على معظمها، واسمه بلبا، فآل أمرُه إلى أن حُمِل إلى بغداد، وأُشهِر على جمل، وصُلِب في السنة الآتية.

وفيها تُوفِّي

جعفر بن محمد

ابن جعفر بن المكتفي بالله، كان عاقلاً أديباً صالحاً، سمع الحديث، ومات في جمادى الآخرة، ودُفن بباب حرب عن ست وتسعين سنة.

علي بن محمد

القيرواني، كان فقيهاً فاضلاً شاعراً فصيحاً، وهو القائل: [من مجزوء الكامل]

ما في زمانِكَ ماجِدٌ ... لو قَدْ تأمَّلْتَ الشَّواهِدْ
فاشهَدْ بصدقِ مقالتي ... أولا فكذِّبني بواحِدْ

محمد بن محمد بن جَهير[1]

أبو نصر، فخر الدولة، الوزير، أصله من الموصل وبها وُلد، وقَدِم ميَّافارقين، وكتب إلى القائم يسأله أن يستوزره، فأجابه، ثم نقم عليه ونفاه إلى الحِلَّة ثم أعاده،

(١) المنتظم ١٦/ ٢٩٠ . وتنظر مصادر الترجمة في السير ١٨/ ٦٠٨ .